مداخلة بعنوان:

دراسة سوسيو أنتروبولوجية للعائلات الكبرى في الجزائر ودورها في تكريس خصوصية الواقع المجتمعي الجزائري

الأستاذ:دحماني عمر جمال الدين

"جامعة سيدي بلعباس"

الملخص:

لقد اهتمت الدراسات السوسيولوجية بالجانب الاجتماعي للمجتمع وذلك بإبراز جل النشاطات القائمة داخل الوسط الاجتماعي المرتبط أساسا بالفرد و تكوينه لحلقة متصلة فيما بينهم.

إن الحديث عن المجتمع الجزائري كواقع معاش يأخذنا للقول بأنه قد شهد العديد من الاهتمامات السوسيولوجية المتنوعة المآرب من دراسات المنوغرافية ، الطبوغرافية... وهذا ما تجدر به الدراسة إلى الخوض في إنتاج واقع اجتماعي بعيد عن تفسيرات الطرف الآخر، وذلك من خلال إبراز العديد من النشاطات الاجتماعية القائمة أساسا على(الفرد، الأسرة)، وهذا ما سنحاول توضيحه في دراستنا للعائلات الجزائرية ومدى مساهمتها داخل المجتمع الجزائري.

تقديم:

يزخر المجتمع الجزائري بالعديد من النشاطات و الحركات الثقافية و الاجتماعية و الدينية و غيرها، و التي مثلت واقع المجتمع الجزائري بين الماضي و الحاضر، وقد شهدت هذه النشاطات أوجها من خلال الدور الذي لعبه أفراد المجتمع (مجاهدين، أبطال، الأسرة، العائلات...).

وهنا نخص بالذكر العائلات الجزائرية و دورها في المجتمع الجزائري، ومثال ذلك عائلة غرناطي بندرومة التي شهدت إنتاج معرفي من خلال الفاعلين التاريخيين و ظهورهم في مجالات اجتماعية عديدة كالتعليم، الصناعة، التجارة، وغيرها.

ظلت هذه العائلة طيلة هذه المدة متمسكة بالعادات و التقاليد، وهذا بفضل علمائها الذين أدلوا بدلوهم في هذا المجال، و أضحوا يسعون إلى تربية النشا و تعليمهم بالمجتمع الأندلسي و خاصة ما تعلق بغرناطة .

و بالتالي فهذه علامة واضحة و دالة على تأريخ حياتهم و نشاطاتهم بعيدا عن ما كتبه الغربيون و كذلك بعدهم عن تزييف الحقائق.

و إلى يومنا هذا فقد شكلت المدارس و الجمعيات و المساجد منبرا للتعريف بهؤلاء العائلات ومن بينهم عائلة غرناطي ، وهنا تستوقفنا بعض الإشكالات الاجتماعية حول هوية هؤلاء الموريسكيين؟ و إلى مدى

كانت مساهماتهم داخل المجتمع الجزائري؟ ودور عائلة غرناطي و واقعها داخل النسيج الحضاري للمجتمع الجزائري؟.

أولا : الموريسكيين و هجرتهم إلى الجزائر:

1/- الواقع الاجتماعي لمجالات حياة الموريسكيين:

ظل مشكل الموريسكيين باسبانيا قائما و ذلك من خلال الممارسات التي أقيمت عليهم من طرف الاسبان ، وذلك بعد توحد المملكتين و كان دافع ذلك على حساب المسلمين الموريسكيين ، وذلك من أجل إتمام الوحدة الاسبانية و طرد المسلمين منها[1]، وقد تحقق ذلك في العديد من المجالات نذكر منها:

1-1/ الحياة الاجتماعية:

تزايد الخطر الاسباني بعد أن نشطت حركة الاسترداد " الريكونكيستا"[2] و أجبر المسيحيون المرأة الموريسكية على التبرج وأكل الخنزير والجيفة وبالاختلاط مع الأجانب بالإضافة إلى عدم التلفظ باسم النبي محمد عليه الصلاة والسلام بل بشتمه أيضا، كما منعت السلطات الإسبانية الموريسكيين من ارتداء الملابس العربية وأجبرتهم على تغيير أسمائهم العربية الإسلامية إلى أخرى إسبانية مسيحية.

---

[1] جمال يحياوي، (آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان) ، مجلة الوعي ، العدد المزدوج 3- 4 أفريل – ماي 2011م، دار الوعي للنشر و التوزيع رويبة الجزائر، 2011م، ص 91.

[2] نفسه، ص 91.

أصدر ملك إسبانيا فيليب الثاني قرارات ذات تدابير صارمة في حق الموريسكيين منها توصيات اقترحها رجال الكنيسة يمكننا إجمالها في النقاط التالية:

- منع استعمال الألبسة العربية.
- إجبار الموريسكيين على ترك أبواب بيوتهم مفتوحة أيام الجمعة والأعياد.
- يمنع النساء من التنظيف ودخول الحمامات.
- يمنع على المرأة الزواج طبقًا لمبادئ الشريعة الإسلامية.
- منع الآباء من تلقين أبنائهم الشعائر الإسلامية.[3]

1-2/ الحياة الدينية:

تعمقت روح الكراهية عندما أصدرت السلطات الأوامر بحرق المصاحف والآلاف من الكتب العربية الحاملة للعلوم والثقافات والتي قدرها المؤرخون بعشرات الألوف، وكان الهدف من وراء هذه العمليات الإقصائية هو طمس معالم الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس.

.

1-3/ الحياة الثقافية:

لقد تم القضاء على الموروث الحضاري الإسلامي الذي خلدته الأندلس عبر الأجيال زهاء ثمانية قرون، حيث تشير القصيدة إلى ذلك صراحة:

و لم يتركوا فيها كتابًا لمسلم * ولا مصحفًا يخلى به للقراءة.[4]

2/- الحياة الاجتماعية للموريسكيين في الجزائر:

تميزت مرحلة ما بين 1609 – 1614 م بالاضمحلال داخل المجتمع الأندلسي ، وبذلك فقد أعقبها هجرة مكثفة (حوالي 25 ألف موريسكي)[5] متجهين إلى السواحل الجزائرية و النزول بها .

2-1/ نشاطهم الاقتصادي :

---

[3] حنيفي هلايلي، (الأندلسيون في كتابات أحمد المقري التلمساني- أزهار الرياض و نفح الطيب أنموذجا-) ، مجلة التراث العربي ، العدد 97 ، ص181 – 182.

[4] حنيفي هلايلي، المرجع السابق ، ص 182.

[5] نفسه، 184 – 185.

كان لوجود الموريسكيين في الجزائر عاملا ايجابيا في الحياة الاقتصادية ، فتركز معظمهم على المدن الساحلية الجزائرية بعد فرارهم من اضطهاد الاسبان الذين استولوا على أملاكهم و عقيدتهم و لغتهم ومن أشهر المدن التي حلوا بها هي : (شرشال , مستغانم , دلس , بجاية , عنابة , الجزائر ...) , وقد عملوا على نشر أنماط حضارتهم فارتقت و ازدهرت فنون العمارة و الصناعة والزراعة و الحرف و التجارة و التعليم و صناعة الكتاب.[6]

استطاع أفراد الجالية الأندلسية بفضل نشاطهم الاقتصادي الواسع، من تكوين ثروات ضخمة، ساهمت في فعاليات ازدهار المجتمع الجزائري، وكان الأندلسيون يمارسون المهن المعروفة آنذاك، حيث تخصصوا في مختلف الحرف السائدة في مجتمع الجزائر، وقد شبه أحد المؤرخين نشاط الأندلسيين بإيالة الجزائر، مقارنة مع نظام الطوائف الحرفية، بأنها تمثل النخبة البرجوازية التي تحتكر دواليب الحركة الاقتصادية، وكانت هذه الجالية بمثابة المؤشر المالي للرأسمالية الحديثة في المجتمع الجزائري.[7]

وقد امتد نشاط الموريسكيين داخل المجتمع التلمساني إلى استصلاح الأراضي لتكون مصدر رزقهم و ادخلوا عليها أساليب متطورة و حولوا محيط تلمسان إلى حدائق و مزارع منتجة و طوروا كثيرا من الزراعات(الزيتون ، الحوامض، الكرز،...).

كما أسسوا الموريسكيين في تلمسان عدة ورشات و مصانع صغيرة للنجارة و الحدادة و الخياطة و طرز الملابس الجلدية و القطنية و الحريرية و صناعة أدوات الفلاحة ، وقد ارتبطت بعض هذه الصناعات بعائلات معينة توارثت الصنعة أبا عن جد [8].

2-2/ نشاطهم التجاري:

قدر لأبناء الجالية الأندلسية الذين استقروا بالجزائر في العهد العثماني، أن يكون لهم دور المشاركة الفعالة، وكان أبرز أوجه هذه المشاركة محصورا في التجارة، فلقد اتسع نشاط هؤلاء التجار الأندلسيين، وبخاصة تجارة بيع الأسرى المسيحيين وتمويل مشاريع الجهاد البحري، وهي مؤسسات حيوية وهامة، ظلت لمدة

---

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري – 16، 20م ، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981م، ص 142.

[7] حنيفي هلايلي ، (الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية)، على موقع جامعة سيدي بلعباس: http://www-leo.univ-sba.dz/publication/article001.pdf يوم 2013/08/15م ، على الساعة 10:20

[8] جمال يحياوي، (آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان)، المرجع السابق ، ص 93.

طويلة موردا هاما للرزق ومصدرا للثروة، وعاملا حاسما في تنشيط الحركة الاقتصادية بالجزائر، كما كانت حكرا على أفراد الإدارة العثمانية[9].

استقطبت تلمسان كذلك تجارة المغرب الأقصى و الجهات الغربية من الجزائر وقد ساعدها على ذلك نشاط تجارها و صلاتها القديمة بالسودان عبر إقليمي الساورة و تافيلات وقد تحكمت أسواق تلمسان و مخازنها في التجارة بكميات كبيرة من القطن و التوابل و الأقمشة و الجلود و الأخشاب وريش النعام و العاج[10] .

2-3/ نشاطهم الاجتماعي:

اشتهرت العائلات الأندلسية باشتغال أفرادها بالتجارة والصنائع، والحرف المهنية وطلب العلم والتدريس، وذلك لكونهم أنهم يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري،كما أسسوا مدارس للتعليم والجمعيات الدينية ومساجد للعبادة، وتقديم يد العون للفقراء [11].

أما من ناحية التأثر (وخصوصا بتلمسان) فبدا واضحا في التنافس بزينة الملابس و تزيين البيوت، وظهرت الرفاهية في الأحياء و شملت مختلف مظاهر الحياة اليومية للتلمسانيين [12].

.

ثانيا: عائلة غرناطي و انتشار العلم و العلماء داخل المجتمع الندرومي :

1/- أهم علمائها:

اكتسب مجتمع ندرومة[13] صبغة علمية و إشعاع حضاري مميز جعل منه قبلة لمزار العلماء و المحدثين من كل الجهات، فبات تعقد به المناظرات و الجلسات العلمية الثقافية ، وهذا كله بفضل علمائه الأجلاء ، فلقد شهدت عائلة غرناطي[14] العديد من العلماء البارزين في مجالات و نشاطات علمية عديدة منها الطب و اللغة العربية و النحو و الصرف و التفسير ، جعلها تحتل مكانة محترمة عند أهالي منطقة ندرومة.

---

[9] حنيفي هلايلي ، (الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية)، المرجع السابق.

[10] ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984م، ص 71-72.

[11] حنيفي هلايلي ، (الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية)، المرجع السابق.

[12] جمال يحياوي، (آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان)، المرجع السابق ، ص 92.

[13] تقع منطقة ندرومة في منطقة متميزة في غرب الجزائر، تزخر بالشواهد و الأحداث التاريخية منذ القدم و تشكل إرثا حضاريا و تاريخيا يستحق تسليط الضوء عليه، ينظر الى : أنيسة بركات درار، (شخصية عبد المؤمن بن علي أمير و سراج الموحدين)، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري و الدولة الموحدية، ط1، عدد خاص الجمعية الموحدية ندرومة 1998م،ص 08.

[14] عائلة غرناطي من العائلات الموريسكية الكبيرة في منطقة ندرومة ، امتازت بتاريخها و حضارتها، اهتمت بالعلم و العلماء و خصصت لهم فضاءات لهذا الجو الحضاري ، ما تزال قائمة على شؤونها إلى يومنا هذا (تقرير من طرف الباحث مع مجموعة من أعيان المنطقة).

ولعل من بين أهم هؤلاء العلماء نذكر:

- **الشيخ سيدي علي بن فتوحي : (توفي عام 1963م بندرومة).**

كان من الأئمة و العلماء الزاهدين ، اهتم بأمور الإفتاء حتى اشتهر كثيرا بندرومة ، وأذيعت أخباره إلى المغرب الأقصى فوفد الناس إليه للأخذ من علومه و في حل مسائل فقهية دينية ، كما أنه اشتهر في تفسيره لحروف القرآن الكريم ومواضعه و صيغه .

كان الشيخ سيدي علي بن فتوحي شديد الحرص على الأمانة حتى أصبح يلقب " بحافظ الأمانة لأهل ندرومة" ، ومن حكمته في ذلك أنه كان يضع على رأس كل أمانة يودعها عنده أحد ما اسم سورة قرآنية لكي لا يتم الخلط بين الأمانات.[15]

ومن طرائفه في السفر أنه كان يحضر لمجالس مشايخ و علماء من أجل المناظرة و كسب العلوم وفي يوم من الأيام طرح سؤالا على الشيوخ الحاضرين في المجلس.

فقال: ماذا تقولون في هذا الرأي وهو (نوى ما صلى، وصلى ما نوى) هل يا ترى هذه الصلاة مقبولة؟.

فأجابوه قائلين: طبعا هي غير مقبولة و مردودة على صاحبها.

فقال: بل هي صحيحة ، وأضاف قائلا ما رأيكم في شخص أراد أن يذهب إلى صلاة الجمعة ولكن حين وصل إلى المسجد رأى بأن الصلاة انتهت وهنا نقول (نوى ما صلى) ، ثم انفرد ذلك الشخص في زاوية من زوايا المسجد وصلى صلاة الظهر رباعية وهنا نقول (صلى ما نوى).

ومن حكمه أيضا هو معاملة الناس بلطف و مودة وله العديد من المواقف تجاه هذه المعاملة الحسنة.

- **الشيخ لخضري الزريهني : (توفي حوالي عام 1970م بندرومة)**

وهو من تلامذة الشيخ سيدي علي بن فتوحي ، كان كثير السفر و الترحال إلى أي مكان يسمع بأن فيه علماء و مدرسين وكان يحضر جلسات المناظرة و يسمع لها ، حتى بدأ يتعلق بها فأصبح من كبار العلماء في المناظرات العلمية و أذيع صوته و خصوصا بالمغرب الأقصى.

تخرج على يد الشيخ لخضري الزريهني العديد من الطلبة الذين حملوا القرآن الكريم و درسوا على يده قواعد النحو و البلاغة و الصرف ، كما أنه زرع في نفوسهم حب التنقل و السفر لكسب العلم .

---

[15] مقابلة مع الأستاذ المجاهد "غرناطي سيدي محمد" من كبار المهتمين بالتاريخ و التراث الشعبي لمنطقة ندرومة ، و بالأخص لتاريخ العائلات الموريسكية ومن بينهم عائلة غرناطي، يوم الثلاثاء 05 فبراير 2013م على الساعة 11:42 بمنزله بندرومة .

- **الشيخ الحبيب فتوحي : (توفي عام 1971م)**

يقال أنه من تلامذة الشيخ لخضري الزريهني ، وهو من كبار العلماء الذين تخصصوا في تدريس النحو و تفسير القرآن وفهم معانيه إدراكا منه على أهمية التدبر في كلام الله تعالى و شرح معانيه على ضوء السيرة النبوية.[16]

- **الشيخ فتوحي دفين عين الحوت : (توفي /)**

هو من بين العلماء الذين اثروا التنقل بحثا عن العلم و التعليم ، فهو من أولياء الصالحين وذلك لحبه للزهد واستعمال الخلوة للتدبر في شؤون الخلق.[17]

فلقد لقب بدفين عين الحوت[18] لأنه طلب في حياته بدفنه فيها، وحبا منه لأهلها الذي اشتهر في أوساطهم بالصدق و العلم وتعليم الطلبة لكتاب الله تعالى حتى لقبوه بالولي الصالح ، و إلى يومنا هذا ما يزال ضريحه موجودا بهذه المنطقة.

- **الشيخ عالم محمد : (توفي عام 1960م بندرومة)**

لقب بالموسوعة الشعرية وهذا لكثرة حفظه للشعر الأندلسي الذي كان يؤرخ لتلك الفترة الزمنية ، فدون و أخذ عن كثير من الشعراء و قام بتصحيحه وسرده في مدونته التاريخية التي تحكي عن الأحوال الاجتماعية للموريسكيين ومعاناتهم.

كما أنه تتلمذ على يد العديد من العلماء ، فأخذ عنه علوم النحو و الصرف و الحساب كما أخذ عن هؤلاء تاريخ الشعوب و الأوطان.

- **الشيخ عالم بن بومدين بن فتوحي: (توفي عام ..19م بندرومة)**

---

[16] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[17] مقابلة مع الأستاذ المجاهد "غرناطي أحمد" له العديد من الكتابات حول شجرة عائلة غرناطي بالأندلس ، مع اهتمامه الكبير بأهم النشاطات العلمية التي كانت سائدة آنذاك ، يوم الأربعاء 06 فبراير 2013م على الساعة 09:45 بمنزله بسيدي بلعباس.

[18] قرية عين الحوت إحدى بلديات دائرة شتوان ولاية تلمسان تبعد عن مدينة شتوان ببضع كيلومترات ،وعن ولاية تلمسان بحوالي 07 كلم وهي تتميز بجبالها وغاباتها الكثيفة ،إضافة إلى ينابيعها المعدنية كعين الحوت المتواجدة داخل القرية بحيث تعرف نشاطا كثيفا خلال موسم الصيف من داخل القرية ومن خارجها وذلك بغرض الشرب من مياهها ،كما تتواجد بها أشجارا يفوق عمرها المائة سنة ،كما تتربع على أراضي فلاحية كبيرة ينظر إلى : أرشيف دائرة شتوان.

وهو من العلماء الذين حضوا بمكانة في أوساط ندرومة ، حفظ القرآن الكريم ، قام بتدريس القرآن الكريم في الكتاتيب و المساجد ، تخرج على يده العديد من الطلبة الحاملين لكتاب الله تعالى.

- **الشيخ غرناطي سيدي عبد الله فتوحي : (توفي عام 1966م بندرومة)**

دفين ولاية الشلف ، وهو من بين العلماء الذين هاجروا طلبا للعلم، انتقل إلى أماكن عديدة حتى استقر به الحال بولاية الشلف ولقب بنزيل الشلف.

اشتهر بتدريس القرآن الكريم و العلوم العقلية و النقلية ، كما كانت له مجالس يحضرها للذكر والتفسير.[19]

- **الشيخ عالم الهبري: (توفي عام 1968م بندرومة)**

هو من العلماء المتأخرين ، اهتم بدراسة اللغة العربية و قواعدها مع تعلم كذلك لغات أجنبية أخرى حتى أصبح مترجما ، انتقل إلى المغرب الأقصى وذلك تماشيا مع انتشار العلوم و المعارف ثم عاد إلى ندرومة ومنها إلى وجهات و أماكن أخرى.

2/- انشغالهم بالعلم و التدريس:

ساهم الموريسكيين بقسط وافر في التعليم بالمدارس[20] فلقد مثلت هذه الحياة العلمية التي انبعثت بداخل ندرومة و الازدهار الثقافي و التنوير العلمي أن مكن لهؤلاء العلماء و غيرهم من إنشاء مدارس خاصة لتلقين العلوم المختلفة ، فأصبحت هذه المدارس تنتشر شيء فشيء و أصبح الإقبال عليها كبيرا من طرف أهالي ندرومة و تلمسان وحتى من المغرب الأقصى، ومن بين أهم هذه المدارس التي أنشأت نجد مدرسة " دار فتوح "[21] التي أسستها عائلة غرناطي.

2-1/ مدرسة دار فتوح بندرومة :

---

[19] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[20] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1981م ،ص 282.

[21] مقابلة مع "غرناطي نعيمة" وهي من العارفين للفن الأندلسي و الموسيقى ، ومدى درجة استخدامه في التعريف بالتراث الغرناطي الأندلسي بندرومة ، يوم الثلاثاء 05 فبراير 2013م على الساعة 13:10 بمنزلها بندرومة.

تأسست دار فتوح حوالي سنة 1580م بندرومة القديمة، تحتوي هذه المدرسة على ثمانية أو عشرة غرف متوسطة الحجم وفناء صغير في وسط الدار ، إذ هي تتسع للطلبة الراغبين في الإقامة والتمدرس و حفظ القرآن فيها[22].

كان التعليم بها يمر بمراحل عديدة بدءا بمرحلة تحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار ثم تليها تدريس اللغة العربية و النحو و الصرف للطلبة المتوسطين في السن ، ثم تليها تدريس الطلبة الأكبر سنا للعلوم النقلية و العقلية منها الطب و الحساب ... وتفسير القرآن الكريم و غيرها من العلوم[23].

فلقد كان هؤلاء العلماء الذين سبق ذكرهم كلهم يدرسون بها حسب مراحل توفر لهم الإقامة ثم السفر إلى أماكن أخرى من اجل التعلم.

*– دورها الإصلاحي و الثقافي :

شكلت هذه المدرسة ما يسمى بالنسيج العائلي الذي يضم بداخله ذلك التعاون و التآزر و المحبة[24] فهي بالرغم من أن لها مكانة ثقافية علمية بين الناس إلا إنها كانت مكان يلجأ إليه العامة و الخاصة لاستفساراتهم الدينية و الدنيوية ، وحتى لفض النزاعات القائمة بين أفراد القبائل فكانت تمثل محكمة يلجأ إليها كل الناس.

أما بالنسبة للأحوال الاجتماعية فكانت تقوم المدرسة بتدوين شجرات العائلات و إحصائها و إحصاء أفرادها و زعمائها ناهيك على أنها كانت بمثابة مطعم جماعي للفقراء و المساكين .

أما عن الطلبة فتعمد المدرسة إلى إجازتهم بحيث تجهزهم للسفر من اجل التعلم أكثر فأكثر والرجوع بالزاد (العلوم) من أجل تعليمها في هذه المدرسة لأبناء المنطقة[25].

*– حلقات التدريس:

كان من بين القائمين على الشؤون الخارجية للمدرسة هم عائلة رحال التي اشتهرت بعلمها و علمائها في ميادين مختلفة من العلوم ، فكانوا ينظمون حلقات تدريس القرآن الكريم و الصرف و النحو داخل هذه المدرسة مع جلب عدد كبير من العلماء من خارج ندرومة وذلك لعقد جلسات علمية، فكانت تقام عدة مرات و ذلك بقصد نشر الثقافة العلمية و القضاء على الجهل و الأمية[26].

---

[22] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[23] من أرشيف عائلة غرناطي.

[24] مقابلة مع الأستاذ "غرناطي محمد فتوحي" ينتمي إلى الفرع الثاني من العائلة (فتوح) ، يوم الخميس 07 فبراير 2013م على الساعة 14:40 بمنزله بندرومة .

[25] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[26] نفسه.

*– أعضاء المدرسة :

للمدرسة أعضاء كثر و لم نشهد عليها أن لها شيخا واحدا يترأسها ككثير من المدارس التعليمية الأخرى ، – فهي ملك لعلماء عائلة غرناطي – [27] كلهم و لهذا لم نعثر على شيء يبين لنا بأن عالما منها انفرد بالسلطة على المدرسة.

معظم الإعانات المادية التي كانت تأتي للمدرسة كانت من طرف أعضاء العائلة و ذلك لممارستهم للحرف التقليدية و الزراعة ، وبذلك يخصص نصف النصيب لمستلزمات هذه المدرسة لأنهم كانوا يرون أن هذه المدرسة، أولا هي ملك لهم و ثانيا هي المكان المحترم من طرف جميع العائلة ذلك بأنها تعلم أطفالهم و تنشئهم نشأت حسنة.

أما عن الوضع الحالي لهذه المدرسة فهي مغلقة و غير مستغلة من طرف العائلة ، فهي بالكاد مهجورة ، ومن حيث البناية فما تزال على وضعها السابق.

جدول يبين موقع المدرسة :

الولاية	الدائرة	المدرسة	علمائها	أعضائها	الوضع الحالي

[27] مقابلة مع الأستاذ المجاهد "غرناطي أحمد"، المصدر السابق.

تلمسان	ندرومة	مدرسة دار فتوح	– الشيخ سيدي علي بن فتوحي. – الشيخ لخضري الزريهني. – الشيخ الحبيب فتوحي. – الشيخ فتوحي دفين عين الحوت. – الشيخ عالم محمد. – الشيخ عالم بن بومدين بن فتوحي. – الشيخ غرناطي سيدي عبد الله فتوحي. – الشيخ عالم الهبري.	عائلة غرناطي	ماتزال المدرسة على وضعها السابق وهي غير مستغلة من طرف العائلة ومغلقة.

*. من إعداد الباحث.

2-2/ الكتب و المخطوطات:

احتوت خزانات مدرسة دار فتوح على العديد من المخطوطات التي تعود فترتها إلى حوالي القرن 15م ، كان معظمها يندرج في علوم الطب و التفسير و الفنون الأندلسية و كذا تدوين الرحلات للعلماء بالأندلس[28].

لقد تمت المحافظة على هذا التراث المادي طيلة هذه المدة الزمنية ولكن سرعان ما تتحول الأمور لغير صالحها فنجد أن السلطات الاستعمارية سعت منذ بدايات الاحتلال عام 1830م إلى طمس الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري، و سعيا منها لإنجاح هذا المشروع قامت بغلق المدارس و الزوايا الدينية و تعميم الجهل و الأمية ، وفي خضم هذا المشروع الذي مس كامل التراب الوطني لم تسلم مدرسة دار فتوح بندرومة[29] من هذه السياسة الاستعمارية.[30] وبذلك تم انقاد أجزاء من هذه المخطوطات و الكتب التي تعرضت للإتلاف و الحرق من قبل الاستعمار الفرنسي.

ثالثا: مميزات و خصائص عائلة غرناطي :

[28] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[29] من أرشيف عائلة غرناطي، المصدر السابق.

[30] مقابلة مع الأستاذ المجاهد "غرناطي أحمد"، المصدر السابق.

1/- النشاطات الحرفية و الفنية لدى العائلة:

1-1/ النشاط الحرفي:

من بين أهم الحرف التقليدية التي اشتهرت بها عائلة غرناطي هي صناعة النسيج و الصوف و الخشب والعمل في الدباغة و كذا الطرز[31] ، كل هذه الحرف كان لها فضائها المخصص فقد أنشأت لها محلات محددة و أسواق تجارية تباع فيها هذه المنتجات[32] ، كما أن هذه الحرف قد ازدهرت بمجيء الموريسكيين إلى ندرومة ونتيجة الاحتكاك بسكان المنطقة أصبح لها الأثر الواضح في التنوع في مثل هذه الحرف التقليدية.

- صناعة النسيج:

يمكن تعريف النسيج بأنه جميع المنتجات التي تشمل الخيوط سواء كانت خيوط طبيعية أم صناعية، وقد تطورت على أيدي الموريسكيين الذين توارثوا الأساليب الفنية لصنع الزرابي والأقمشة و انتشرت صناعة الأقمشة القطنية في مازونة و مستغانم و الجزائر و بالأخص في ندرومة[33] ، و بالتالي فإن عائلة غرناطي اهتمت بهذا النشاط الحرفي طيلة مدة من الزمن.

- صناعة الصوف :

لقد عمدت عائلة غرناطي إلى – الإنتاج المحلي من صناعة الصوف –[34] وذلك في الألبسة وفي أشياء أخرى ، وخصصت لها أهمية كبيرة من حيث القيمة الحرفية التي تعد من الحرف التي شهدت رواجا كبيرا في المنطقة[35] .

- صناعة الخشب:

---

[31] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[32] من أرشيف عائلة غرناطي، المصدر السابق.

[33] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1982م، ص 502.

[34] نفسه، ص 502.

[35] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق. ، و مقابلة مع الأستاذ "غرناطي محمد فتوحي"، المرجع السابق.

تعد صناعة الخشب من أهم و ابرز الحرف اليدوية في المنطقة ندرومة وذلك لأهمية المنتوجات الخشبية في الحياة اليومية كصناعة منابر المساجد ، و في تدريس والكتابة عليها ، وفي أغراض شتى ، ولهذا لقيت صناعتها أياد عاملة كثيرة[36].

بالإضافة إلى حرف أخرى شهدتها منطقة ندرومة ، ونلاحظ إلى يومنا هذا تواجد عدد قليل من هذه الحرف أما غالبيتها فقد اندثر .

جدول يبين يبين الحرف التقليدية لكل فرع من العائلة :

المنطقة	العائلة	الحرف
ندرومة	– غرناطي	– النسيج. – الطرز. – الدباغة. – آلات موسيقى.
	_____	_____
	– عالم	/
	_____	_____
	– فتوحي (فتوح)	–. صناعة الألواح الخشبية (لتعليم القرآن الكريم).

*. من إعداد الباحث.

1–2/ النشاط الفني:

أما عن النشاط الفني التي امتازت به عائلة غرناطي وهو التراث الشعبي الموروث[37] عن أجدادهم بغرناطة بالأندلس ، وهي الموسيقى الغرناطية الأندلسية فقد احتفظوا بها طيلة فترة من الزمن[38] و إلى يومنا هذا تنشد مقطوعات من هذا الفن وهي متنوعة منها ما يحكي عن الأندلس و جمالها في العمران والطرقات و الجو و المناخ ، ومنها ما هو ألفاظ و كلمات حزينة تصور لنا مأساة الموريسكيين و خروجهم و ترحيلهم من طرف الإسبان.

---

[36] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[37] مقابلة مع "غرناطي نعيمة"، المرجع السابق.

[38] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

كما اهتمت عائلة غرناطي بصناعة آلات الموسيقى و طوروا فيها أشياء كثيرة مع الإبقاء على النمط الشكلي الأول ، فقد كانت الموسيقى الأندلسية مقسمة على حسب عدد ساعات اليوم (24 ساعة) إذن هناك (24 نوبة) كل نوبة خصص لها ساعة واحدة تسمع فيها و تتجاوب مع إيقاعات النوبات الأخرى[39].

2/- خصائصها:

2-1/ التقسيم الداخلي للعائلة:

تم تقسيم العائلة إلى ثلاثة فروع وهي : (غرناطي – فتوحي – عالم)[40].

- عائلة غرناطي : فقد بقوا محافظين على التسمية الأولى ، نسبة إلى البلد الذي هاجروا منه فامتازوا بالمحافظة على نسب العائلة و شجرتها.
- عائلة فتوحي : لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى (أولاد فتوح)، وقد كانوا يدرسون القرآن الكريم في المدارس (مدرسة دار فتوح) وقواعد النحو و الصرف .
- عائلة عالم : وقد لقبوا بهذا اللقب لان معظمهم كانوا من يعلمون الناس،ومن نسب العلماء[41].

2-2/ أهم الكرامات التي تميزت بها العائلة :

لعل أهم الكرامات التي اتصفت بها هي الكرامات التي تعلقت كثيرا بمدرسة دار فتوح التي كانت مزارا مهما لسكان المنطقة، وقضاء حوائجهم و ذلك لما رأوه من إقبال العلماء لديها وتعلم الناس لكتاب الله تعالى بها ، فاستحسنوا صورتها و زادتهم تعلقا وحبا فيها ولعل أبرز الكرامات التي تعلقت بها نذكر:

- نزول المطر ، ولهذا الأمر يجتمع سكان منطقة ندرومة أمام المدرسة و تفتح لهم أبوابها ويفرشون الفراش و يدعون الله تعالى بنزول المطر وهذا كله لأنهم كانوا يرون بأن هذا المكان الطاهر هو المكان المناسب لاستجابة الدعاء[42].

---

[39] مقابلة مع الأستاذ المجاهد "غرناطي أحمد"، المصدر السابق.

[40] من أرشيف عائلة غرناطي، المصدر السابق.

[41] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[42] مقابلة مع "غرناطي نعيمة"، المرجع السابق. ، و مقابلة مع الأستاذ "غرناطي محمد فتوحي"، المرجع السابق.

- الفتح من عند الله تعالى ، وهذا خاص بالطلبة الذين يكملون الدراسة فيها و يتجهون إلى مدارس علمية أخرى بعد أن أخذوا الإجازة العلمية منها.
- كل الحجاج الذين يشدون الرحال إلى البقاع المقدسة يمرون على مدرسة دار فتوح و يقيمون بها فترة قصيرة من الزمن ، يقدم لهم التمر و الحليب ثم يستمعون إلى المواعظ و الدروس المتعلقة بقواعد الحج[43] ، ثم ينطلقون في سفرهم وهم يرددون :

" من شوقك أحمد ، هجروا المنازل وودعوا الأهل و البنين."[44].

- ومن بين الكرامات الأخرى هو أن المرأة التي لا تلد ، فتذهب إلى المدرسة و تشرب من ماء البئر الموجود بها ويدعون لها الله تعالى لقضاء حاجتها المرجوة[45].

2-3/ علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعائلة :

لقد كان دافع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الإصلاح، أمرا و دافعا مهما لدى سكان منطقة ندرومة من علماءها و شيوخها و رجالها و أطفالها ، هذا ما جعل عائلة غرناطي المتمثلة في مدرستها (دار فتوح) للانضمام إلى الجمعية و تتبع نشاطاتها التي كانت تصب في منهج واحد ، بحيث لم تكن هناك معارضات من طرفها و تمثلت أساسا في الشيخ عبد القادر غرناطي[46] الذي كان من الأعضاء البارزين في إكمال مسيرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة ندرومة ، بحيث انتمى إلى مدرسة عبد المؤمن بن علي للتعليم العربي بندرومة ، وقد تأسست نتيجة زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لندرومة و ألقى فيها درسا تمحور نصه حول العلم ، والمحبة ، والتسامح ، وتواصلت اللقاءات بحيث أرسل البشير الإبراهيمي الشيخ عبد الباقي بن الشيخ لبعث الحركة الإصلاحية في ندرومة .

وفي سنة 1948م اشترت الجمعية الإصلاحية مكانا أقامت عليه المدرسة و المسجد، وتم البناء في شهر ديسمبر من سنة 1949م و أصبح يضم ثمانية أقسام و إدارة و قاعة للصلاة وكان يترأس هذا المشروع الحاج محمد بن رحال المعروف بثقافته وعلمه.

---

[43] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

[44] مقابلة مع الأستاذ المجاهد "غرناطي أحمد"، المصدر السابق.

[45] نفسه.

[46] مقابلة مع المجاهد "غرناطي سيدي محمد"، المصدر السابق.

تم الافتتاح في سنة 1949م بحضور الشيخ البشير الإبراهيمي و أطلق على المدرسة اسم (عبد المؤمن بن علي) وعين لإدارة المدرسة و الإرشاد في المسجد عبد الوهاب بن منصور أحد أساتذة دار الحديث[47].

ومن بين أهم المعلمون بها نذكر: [48]

المدرسة	المعلمون
مدرسة عبد المؤمن بن علي	– عبد الباقي بن الشيخ الحسين– عبد الوهاب بن منصور – عبد الله ركيبي – الصالح بن الطامة – محمد معطله – محمد بن يلس – السنوسي دلاي –يخلف بوعناني – الصالح ميميش – رابح عيسوس – محمد الزاوي – علي عيساوي – الزهراء البوجاني – كريمة بن الحسين – فاطمة نورين – فاتحة بونخالة.

*. بتصرف من الباحث.

[47] خالد مرزوق والمختار بن عامر ، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان أثار ومواقف 1907–1931–1956 وملحق ،ط 2، 2003م، ص 269– 270.

[48] نفسه ، ص 270.

الخاتمة:

لقد ضل اهتمام العائلات الجزائرية و خصوصا منها الموريسكية، ينصب على إبراز ذلك النشاط الاجتماعي و الثقافي المتمثل أساسا في تقوية البنية الاجتماعية من خلال نشر العلم، وتدريسه في المدارس و الزوايا الدينية فضلا عن إظهار الجانب الإنساني داخل المجتمع الواحد.

وعليه فإنه كان لعائلة غرناطي الموريسكية بندرومة الدور الفعال في خدمة النشاط العلمي للمجتمع الجزائري بحكم أنها تمثل جزء تاريخي هام لتكون النسيج الثقافي و الاجتماعي داخل منطقة ندرومة.

وعليه يمكن إجمال نشاط هذه العائلة في النقاط التالية:

- **تعد حلقة وصل بين المجتمع الأندلسي و المجتمع الجزائر.**
- **تشجيعها للعلم و نشره من خلال عدة مجالات أبرزها المدارس و المساجد.**
- **إحياء التراث المادي و الغير المادي من حرف و فنون.**
- **تأسيس النوادي و الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي.**

توصية:

لعل من التوصيات التي يمكن الإنسان الخروج بها في ضل هذا النشاط المتمثل في (السوسيولوجيا الخاصة بمجتمعنا)، هو الخروج و تأسيس سوسيولوجيا قائمة على الاهتمام بالمجتمع و دراسته دراسة شمولية وليست جزئية للتعرف أكثر على مدى عمق الفرد داخل مجتمعه من عدة جوانب ، لأنها في الأخير تمثل سلسلة متواصلة و متكاملة لا يمكن الاستغناء عن أي طرف منها.

قائمة البيبليوغرافيا:

1/- المصادر:

1/- الأرشيف

1.- أرشيف عائلة غرناطي بندرومة.

2.- أرشيف دائرة شتوان.

2/- المقابلات الشفوية:

1.- مقابلة مع الأستاذ المجاهد "غرناطي سيدي محمد" من كبار المهتمين بالتاريخ و التراث الشعبي لمنطقة ندرومة ، و بالأخص لتاريخ العائلات الموريسكية ومن بينهم عائلة غرناطي، يوم الثلاثاء 05 فبراير 2013م على الساعة 11:42 بمنزله بندرومة .

2.- مقابلة مع الأستاذ المجاهد "غرناطي أحمد" له العديد من الكتابات حول شجرة عائلة غرناطي بالأندلس ، مع اهتمامه الكبير بأهم النشاطات العلمية التي كانت سائدة آنذاك ، يوم الأربعاء 06 فبراير 2013م على الساعة 09:45 بمنزله بسيدي بلعباس.

3.- مقابلة مع الأستاذ "غرناطي محمد فتوحي" ينتمي إلى الفرع الثاني من العائلة (فتوح) ، يوم الخميس 07 فبراير 2013م على الساعة 14:40 بمنزله بندرومة .

4.- مقابلة مع "غرناطي نعيمة" وهي من العارفين للفن الأندلسي و الموسيقى ، ومدى درجة استخدامه في التعريف بالتراث الغرناطي الأندلسي بندرومة ، يوم الثلاثاء 05 فبراير 2013م على الساعة 13:10 بمنزلها بندرومة.

2/- المراجع:

1-. الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1982م.

2-. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري – 16، 20م ، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م.

3-. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1981م.

4-. سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر في التاريخ العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984م.

5-. مرزوق خالد و بن عامر المختار ، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان أثار ومواقف 1907-1931-1956 وملحق ،ط 2، 2003م.

3/- المجلات:

1.- هلايلي حنيفي ، (الأندلسيون في كتابات أحمد المقري التلمساني- أزهار الرياض و نفح الطيب أنموذجا-) ، مجلة التراث العربي ، العدد 97 .

2.- يحياوي جمال ، (آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان) ، مجلة الوعي ، العدد المزدوج 3- 4 أفريل – ماي 2011م، دار الوعي للنشر و التوزيع رويبة الجزائر، 2011م.

4/- الملتقيات:

1.- بركات درار أنيسة ، (شخصية عبد المؤمن بن علي أمير و سراج الموحدين)، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري و الدولة الموحدية، ط1، عدد خاص الجمعية الموحدية ندرومة 1998م.

5/- الموقع الالكتروني:

1.- هلايلي حنيفي ، (الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية)، على موقع جامعة سيدي بلعباس:

http://www-leo.univ-sba.dz/publication/article001.pdf يوم 2013/08/15م ، على الساعة 10:20